الْعِلْمُ

ليس كل العلمِ سواء فمن العلم ما هو الضد اللغوي للجهل، ومن العلم ما يُظن أنه علمٌ وما هو بعلم ؛ لأن العلم الحق هو علم اليقين الذي يؤتيه الله تعالى من يشاء من عباده ؛ وهو المقصود به في الآية الكريمة :(وَقُلْ رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)[1] ، وهذا العلم لا سبيل إليه بغير أن يكون الواحد منا أهلاً لأن يمُن الله تعالى به عليه ؛ فهذه الأهلية تستدعي أن يكون الإنسان ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى ، وذلك بأن يكون من السائرين على طريق الله وصراطه المستقيم منضبطا بمحددات هذا الطريق وضوابط الصراط المستقيم ، وهو لم نتوقعه من الغالبية العظمى من بني آدم في زماننا هذا من الذين يؤثرون العاجل على الآجل ، ومن الذين لا قدرة لهم على المخالفة عما تأمر به النفس الأمارة بالسوء ، ولا رغبة لهم في النأي بأنفسهم عن ما ينشغل به أغلب أفراد الجماعة الإنسانية في خوضهم فيما جعل الله تعالى الحياة الدنيا متصفة به من لهو ولعب وتفاخر وتكاثر وتباهٍ .

ويمكننا أن نتعرَّف على بعض من ملامحه بتدبُّرنا آياتٍ من القرآن الكريم بوسع متدبِّرها أن يقع على بعض مما يميِّز هذا العلم كما في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون)[2] .وقال تعالى (وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِّ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[3] ، وقال تعالى :(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)[4] ، وقال تعالى :(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)[5] .

---

(١) سورة طه ايه ١٤٤.
(٢) سورة يوسف ايه ٦٨.
(٣) سورة يوسف ايه ٦ .
(٤) سورة يوسف ايه ١٠١.
(٥) سورة المجادلة ايه١١.

والحكمة مقترنة بالعلم فهي أيضاً من فضل الله تعالى الذي يؤتيه من يشاء من عباده وهذه الحكمة لا سبيل إليها بغير ما يُنال به فضل الله تعالى من إحسان ليس باليسير التحلي به مادام الأمر يستدعي من الواحد أن يجاهد نفسه ويضطرها إلى ما لا تحب سيرا على طريق الله تعالى .

ولأن العلم والحكمة مقترنان فغالباً ما نجد بعض الناس وقد اجتمعت فيه هاتان الخصلتان وهذا فضل من الله لأن يؤتي الحكمة لمن يشاء وأظنها لا تُؤتى لجاهل حسب المفهوم الصحيح لمعنى العلم الشامل؛ لكل جوانب الحياة الإنسانية إذ أن من نعم الله على الإنسان أن ييسر له سبل العلم النافع حتى يرتفع به عند الله والناس؛ وفي ذلك يقول تعالى : (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْعِلْمَ دَرَجَاْتٍ وَاللهُ بِمَاْ تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ)[1] وفي هذا المعنى يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

العلمُ يبني بيوتاً لا عمادَ لَها والجهلُ يهدمُ بيتَ العزِّ والكرمِ

---

(١) سورة يوسف ايه ٨٦ .